

ملامح الهوية الوطنية في اللباس التقليدي الجزائري

Features of national identity in Algerian traditional dress

د قدور حمداني

جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر 2، الجزائر، kaddour.hamdani@univ-alger2.dz

تاريخ النشر: 2025/12/02

تاريخ القبول: 2025/10/29

تاريخ الاستلام: 2025/10/06

ملخص:

البحث الأكاديمي في ميدان الفنون والثقافة الشعبية من البحوث الحديثة التي سوف تثري الحقل المعرفي في العالم وتفتح الآفاق لكل التخصصات من تاريخ وأنتروبولوجيا وعلم الاجتماع الثقافي والفنون والسياحة وعلم المتاحف والمعارض وغيرها من التخصصات الدقيقة، لكشف ميزات العناصر الثقافية وأصولها العريقة.

يعتبر اللباس التقليدي الجزائري أهم مظاهر الثقافة الشعبية على مر الأزمنة فهو سمة تميز الطبقات الشعبية عن غيرها عبر مختلف مناطق البلاد، اللباس وإن اختلفت غايته والحاجة إليه، لازل محافظا على قوامه، حيث تجتمع فيه كل المهن والحرف التقليدية الشعبية من خياطة وحياكة وطرز، فهو عامل جذب سياحي ورمز لخصوصيات كل منطقة وللهوية الوطنية عامة، بداية من زج الصوف والوبر وغسلها وغزلها الى حياكتها وتفصيلها ثم خياطتها وعرضها للبيع وتسويقها للآخر.

جاءت هذه الورقة العلمية لتبسيط الضوء على سمات وخصائص اللباس التقليدي الجزائري الرجالي على وجه الخصوص وفق مقاربة سوسيو-ثقافية تركز على دراسات الأنثروبولوجيا السابقة.

الكلمات المفتاحية: اللباس التقليدي، الثقافة الشعبية، التراث، الثقافة، الهوية الوطنية.

Abstract:

Academic research in the field of popular culture is one of the modern research that will enrich the field of knowledge in the world and open horizons for all disciplines from history, anthropology, cultural sociology, arts, tourism, museology, exhibitions and other delicate disciplines, to reveal the features and origins of cultural elements ancient.

Algerian traditional dress is considered the most important manifestation of popular culture and heritage throughout the times. It is a feature that distinguishes the popular classes from others across the different regions of the country. And weaving and embroidery, as it is a tourist attraction and a symbol of the peculiarities of each region and of the national identity in general, starting from shoving wool and pile, washing and spinning it, to weaving and tailoring it, then sewing it, offering it for sale and marketing it to others

This scientific paper came to shed light on the features and characteristics of the traditional Algerian men's clothing, in particular, according to a socio-cultural approach based on previous anthropological studies.

Keywords: Traditional dress, Popular culture, Heritage, Culture, National identity.

1. مقدمة:

يعتبر اللباس التقليدي الجزائري من المقومات الثقافية التي تعبّر على أصالة وعراقة الرّجل الجزائري ومدى تمسكه بعاداته وتقاليده، وهو رمز للثقافة الشعبيّة المستمدة من جذور أصالة الأجداد الضاربة في أعماق ما قبل التاريخ، ارتبط اللباس التقليدي ارتباطا وثيقا بالاحتفالية الدينية والوطنية، والمواسم والأعياد الرسمية والشعبية، فهو موروث لامادي محافظ عليه جيلا بعد جيل. فاللباس رسالة تواصلية تعكس المستوى الثقافي والاجتماعي والأخلاقي والحضاري للرجل الجزائري، تميّزه على باقي الشعوب والأمم في باقي أرجاء المعمورة.

الإشكالية:

- ما مدى أصالة اللباس التقليدي الرّجالي الجزائري ؟ وما هي جذوره وانتماءاته التاريخية، وكيف استطاع الحفاظ على طابعه السوسيو ثقافية عبر العصور؟
- الهدف من الدراسة: تبيان أصالة اللباس التقليدي الجزائري في اطاره الزمني و المكاني ، المرتبط بالتّجليات الاجتماعية و الخصائص الاثنوجرافية و الطبيعة البيئية ز و امكانات الحفاظ عليه كموروث ثقافي لامادي ضمن باقي الرموز الحضارية الانسانية.
- منهج الدراسة: اعتمدنا على المنهج التاريخ الذي يهتم بالدراسات السابقة ، كما عرّفه ابن خلدون أنّه أخبار السابقين و الدول و الأيام و في محتواه التّحقيق و التّعليل و التّعرف على الكيفيات و المكتسبات التي ترتبط بالواقع. كما اعتمدنا في البحث على المنهج النوعي(الوصفي) الذي يحيط بالظاهرة دون زيادة أو نقصان. خلص البحث إلى أن اللباس التقليدي الرّجالي الجزائري له أصالته وامتداداته التاريخية، مرتبط ارتباطا وثيقا بالثقافة الشعبية بالرغم من عوامل التأثير والتأثر.

-أهمية الدراسة: لهذه الدراسة أهمية كبيرة في حقول ومضامير الثقافة الشعبية والفنون الأدائية والتراث الثقافي اللامادي وقد يتعدى ذلك في التقاطع المعرفي مع السياحة والآثار وتاريخ الحضارات والفنون الأدائية من سينما ومسرح وكل ما يتعلق بإبراز معالم الهوية الجزائرية.

2. جغرافية اللباس التقليدي الجزائري

الجزائر بلد شاسع يظم تسعة وستون ولاية، تزخر بثراء ثقافي كبير يشكل خارطة سوسيو ثقافية و جيو-سياحية واسعة للباس التقليدي من أقصى جبال الطاسيلي إلى أعالي الطارف، مروراً بالجزائر المحروسة و جبال تيبازة و الونشريس توغلا في أعالي المدينة و سطا مروراً بهضاب سطيف العالي و جبال بجاية و قمم لآلة خديجة و جرجرة بالقبائل الكبرى و إلى سفوح جبال النمامشة و كتامة شرقاً و توغلا أيضاً برق و عرق و حمادة الصحراء الكبرى ، مروراً بواد ميزاب و أولاد نايل و الأغواط و البيض و ما بين الأطلس التلي و الصحراوي، وصولاً إلى وهران و تلمسان أقصى الغرب الجزائري. ويعرف اللباس التقليدي الجزائري تشابهه متقارب عند البربر والعرب، ينبع من أصالة وهوية الرجل الجزائري الموحدة منذ القدم وزادت الفتوحات الإسلامية ترسيخ ذلك بالتوحيد ونبذ الوثنية والتعصب للقبيلة، وحدت الشعب ودمجت بعض الأعراف والعادات والتقاليد. وترسخت الثقافة الشعبية خاصة مع التصدي للغزو الأجنبي، والاستعمار الغربي (الفرنسي خاصة).

3. اللباس التقليدي الجزائري بين الحاجة والكمالية:

قبل أن نخوض في الموضوع نعرف المصطلح لغويا

1.3 تعريف اللباس لغة:

اللباس بفتح اللام، ما يستر الجسم، يقول المولى عز وجل: " يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ " ويقال كذلك اللبوس: بمعنى الثياب والسلاح، مذكر والدرع مؤنث، قوله تعالى وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ (1) ويقال الكعبة ما عليها من لباس، ويقال أيضا اللبسة واللباس واللُبسة حالة من حالات اللبس ولباس الرجل امرأته و لباس المرأة زوجها. وتسمى المرأة لباس وايزارا. لبست فلانة عمري وتلبس حب فلانة، وألبس الشيء غطاءً ومنه ألبس السماء سحابا وألبس الأرض حجارة سوداء. (2)

2.3 ظاهرة اللباس التقليدي:

اللباس التقليدي الجزائري ظاهرة إنسانية كباقي الظواهر الطبيعية والثقافية والحضارية التي تخضع للدراسة للاستقراء، وفق مناهج العلوم الإنسانية بالفرضية والملاحظة والتجريب والاستنتاج سواء كانت الدراسة في الأنساق أو في السياقات. وهذه الظاهرة كغيرها من الماديات التي طورها الانسان عبر مختلف الحقب والأزمنة التاريخية وصاحبته كلازمة في السراء والضراء، تغيرت في الشّكل بتغير الأحوال النفسية والمزاجية و الاجتماعية و طرأت عليها أشكالاً و سمات ذات دلالات أيديولوجية و جمالية تميّز الأفراد و المجموعات و الأقليات العرقية.

ازدهرت صناعة الألبسة التقليدية حتى بلغت درجة الرفاهية و الترف عند الملوك و الأمراء و البداية كانت تقليدية مقارنة لما وصلت إليه ذروة الحضارات الإنسانية البابلية و الآشورية و الفرعونية و الهيلينية و الفارسية و حضارة اليمن بلاد عاد و ارم ذات العماد، على غرار الحضارات التي شهدتها الجزائر مع مختلف مراحل تطورها إلى يومنا هذا (الهومو سابينان **homo sapiens** ، الحضارات الإنسانية الأولى، العصر الكلاسيكي

المرحلة التقليدية العصر الحديث مرحلة التطور الصناعي، و عصر الصناعة و ما بعد الصناعة).

4. جذور تراث اللباس الجزائري ما قبل التاريخ:

دراسات البحث الأنثروبولوجي ترجع بدايات لباس الإنسان الجزائري إلى ما قبل

التاريخ فاكس بأوراق الشجر والنباتات، ومع التطور الفكري والانتقال من الطبيعة الى الثقافة وبلوغ الرقي الحضاري للإنسان من العصور الحجرية إلى العصور الكلاسيكية إلى العصر الحديث، مر اللباس كسائر الظواهر بتطور تاريخي وحضاري. (الحضارات تنمو وتتطور وتبلغ ذروتها وتموت تماما مثل مراحل نمو الإنسان).

والرجل الجزائري ضارب في عمق الحضارة الإنسانية حسب ما أكدته دراسات مقابل التاريخ حوالي مليوني سنة (أول وجود للإنسان الجزائري بتغنيف).

"إنسان باليكو ينسب اسمه إلى المدينة التي عاش فيها تغنيف بولاية بمعسكر الغرب

الجزائري ، يعتبر الممثل الأول لشعوب شمال إفريقيا و قد أعلن عن اكتشافه في 1952 م ، بعد دراسة الحفريات و الأدوات المستعملة آنذاك ، بحضور أربعين مختصا من أنحاء العالم

، و المدير ليكي مدير متحف نيروبي ، و مدينة تيرنيف أو تيغنيف كلمة بربرية تعني

البركتين و اعتمد هذا الإنسان على نشاط الصيد و استقر بالجزائر ما يفوق خمسمائة

(500) ألف سنة، و الجزائر الرافد الأول انبعثت منها الحضارات اللاحقة، قبل مليوني

سنة(4)". و بدأ تطور اللباس محاكاة بالحيوانات و التعرف على ريشها و وبرها و صوفها

و خصائصه مثلا عرف الإنسان بعد تطوره الفكري أن الريش خفيف لا يتبلل مع صعود

العصافير إلى السماء أثناء المطر فهو ناعم و مضاد للماء و كذلك و بر الجمال .

وهذا من خلال الملاحظة والتجربة ، كالتقرب إلى البط في البرك أو الجمال أثناء السقي .

"ولقد عثر على إبرة مصنوعة من عظام الحيوانات لخياطة الجلود مما يدل على أن الإنسان البدائي عرف الخياطة قبل من مئة ألف إلى خمسته مئة ألف سنة. بالإضافة إلى ثياب أوتزي مومياء قديمة عثر عليها في منطقة جليدية ساعدت للحفاظ عليها خمسة آلاف سنة و صاحبها ارتدى حذاء من الجلد و الأعشاب و معطفا من الفراء و سروال من الجلد بجانب ملابس داخلية جلدية(5)".

بالرغم من أن العري اعتبر أمرا طبيعيا عند بعض علماء الأنثروبولوجيا، لكن الحاجات الضرورية كتغير المناخ وضوابط الأعراف والتقاليد وتعاليم الدين جعلت الإنسان يرقى إلى مستوى اللباس، حاجة في نفس الانسان، حتى تقنن في اتقانه وصناعته وأصبح جزءا لا يتجزأ من ثقافته وهويته بل وظلّ لقرون من الزمن بطاقة تعريف لكل فرد و مجموعة بشرية، توارثته الأجيال المتعاقبة و حافظت عليه و ثمنتته.

5. اللباس التقليدي الجزائري كنز تراثي ثقافي أصيل:

تراث الأمة ما له من قيمة باقية من عادات وآداب وعلوم وفنون ينتقل من جيل إلى آخر مثل التراث الإنساني، التراث الإسلامي، التراث الأدبي، أي كل ما خلفه السلف من آثار علمية و فنية و أدبية سواء مادية كالكتب و الآثار و غيرها من الأنماط و العادات الحضارية المتنقلة من جيل إلى جيل، مما يعتبر شيئا نفيسا بالنسبة لتقاليد العصر و مظهرها من مظاهر الحضارة.(6)

التراث يبين الجانب التعبيري الثقافي وأسلوب حياة الشعوب والمجموعات والأفراد، سواء في العصور الحديثة أو القديمة أو المتوسطة وهو كل مركب من المعارف والعادات القيم الحضارية و الثقافية و طبيعة العلاقات ما بين المنتج للتراث و الناشر له، كما أن للابتكار دور في خلق التراث الثقافي.

ولقد ذكر العلامة عبد الرحمن بن خلدون اللباس و تحدث عليه في جزء كبير من كتابه العبر في المقدمة وذكر بأن اللباس التقليدي الجزائري ظل موروثا ماديا محافظا عليه من طرف الأجيال و تشارك العرب و البربر في ذلك و إن اقتصرت صناعتهم للباس من صوف و وبر و غزل و دباعة الجلود إلا صناعة اللباس بلغت أوجها و إتقانها عند الفرس و العجم و اليمن، و تحدث عن صناعة النسيج و الألبسة بإطناب فذكر في الفصل السابع ما يلي " هاتان الصناعتان ضروريتان في العمران لما يحتاجه من الرفاهية فالأولى نسيج الغزل من الصوف و الكتان و القطن اسداء في الطول و أحاما في العرض...، فيتم منها قطع مقدرة من الأكسية من الصوف للاشتمال و للباس و صناعة المنسوجات على اختلاف الأشكال و العوائد ، تفصل بالمقراص قطعاً مناسبة للأعضاء البدنية ثم تلحم تلك القطع بالخياطة المحكمة وصلاً أو تحتيماً أو تقسحاً على حسب نوع الصناعة(7)"

لقد ذكر فعلا ابن خلدون خياطة اللباس والتفنن فيه هو قمة الرفاهية ومن حكمة الله تعالى انه حرم المخيط طواف في الحج افتقارا لله و تذلا لأنه زينة الحياة. و كان يطلق على اللباس بالجزائر الكسوة، فمثلا" الكسا " كانت تطلق على قطعة القماش المنسوجة سواء كانت تستعمل غطاء أو رداء.

أماكن حفظ اللباس التقليدي كتراث لامادي:

لقد اهتمت الهيئات الحكومية والخاصة وعلى رأسها اليونسكو بحفظ التراث وتنمينه وجرده، وترقيته وتوثيقه، وجمعه في المتاحف والمراكز الثقافية ذات الطابع التحفي والقصور والفنادق الفخمة و دور العرض و المسارح و السينما، و غيرها من الهيئات العمومية والخاصة. نذكر منها المتحف المركزي للجيش الشعبي الوطني الذي يقع بالقرب من مقام الشهيد بالجزائر العاصمة ويعرض تراثا هاما في الألبسة.

والمتحف الوطني للفنون والتقاليد الشعبية وهو متحف يعرض أعمال الفن الجزائري يقع في القصبة سوق الجمعة قديما ويعرض اللباس التقليدي والسجاد ، و الأكسيسوارات و غيرها من تحف الصناعات التقليدية الجزائرية

متحف الآثار الذي يقع في قلب العاصمة يعرض الثقافات والتقاليد القديمة وهو أقدم متحف في الجزائر و إفريقيا.

بالإضافة إلى بعض المدن التي لا تزال تحافظ على تراثها التقليدي وصناعاتها كالقصبة الجزائر العاصمة والمدن القديمة قسنطينة وقيصرية تلمسان وغرداية وجانيت وتمنراست و تيزي وزو و بجاية و الأغواط و المدية و بوسعادة و غيرهم من المدن التراثية بالجزائر . وفي الفنون الأدائية الأخرى كالمرح والسينما وغيرها (مجموعة الألبسة المحفوظة في المسارح الهوية والمسرح الوطني).

إلا أننا نتطلع لإنشاء مدينة تراثية بالجنوب لاحتضان الأعمال السينمائية والفنية وترقية الصناعات اليدوية وإعادة تثمينها وصناعة مستلزمات الديكور القديمة مثل استوديوهات هوليود و بولي يود.

و نجد بعض دور العرض و بعض القصور و الفنادق الفخمة تحافظ على اللباس الجزائري بعرضه أو توظيفه، كتحف عباءة الأمير عبد القادر وبعض لوحات الفنان التشكيلي إتيان ديني التي تصور اللباس التقليدي الجزائري ببوسعادة و التي اقتناها الفندق رجل الأعمال جلال مهري و عرضها في فندق غالري رويال وهران Royal Hôtel Gallery Oran كمقصد سياحي ثقافي على سبيل المثال لا الحصر .

6. اللباس التقليدي الجزائري شاهد على الحضارة الإنسانية بالجزائر:

مر اللباس التقليد الجزائري على مراحل وحقب زمنية طويلة، ذات تأثير وتأثر

ومجمل القول، ما ذكره الباحثون والمؤرخون أمثال ابن خلدون في مقدمته ومبارك الميلي و توفيق المدني و عبد الرحمن الجلالي في تاريخ الجزائر الثقافي و الحضاري و عادات و ارث الانسان الجزائري.

وسنذكر أهم مراحل تطور اللباس التقليدي الجزائري عبر مختلفة الأحقاب التاريخية
فترة الزيرين:

شهد اللباس التقليدي الجزائري تطورا حضاريا تحت سلطة الملوك البربر في المدينة الجزائر التي سميت ايكوسيم باللاتينية ايكوزيزم، امتاز البربري بلباسه التقليدي الأنيق لباس النبلاء و الملوك و الفرسان، حتى أن "سيليني" ابنة الملكة كليو باترا انجذبت إلى يوبا الثاني من خلال هندامه و هيبة لباسه و تزوجها، و امتازت ايكوسيم بحضارتها الراقية و ألبستها التقليدية الملكية المميزة نظرا لتعاقب الملوك عليها و قتل آخر ملوكها سنة أربعين بعد الميلاد من طرف كاليقولا.(8)

فترة دخول العرب إلى شمال إفريقيا:

ودخول العرب إلى شمال إفريقيا كان في مرحلتين مرحلة ما قبل الفتح الإسلامي وهي هجرة بعض القبائل العربية من جنوب مصر والشام إلى الجزائر ومنهم قبائل بني هلال وفترة الفتوحات الإسلامية على يد عبد الله بن أبي سرح سنة 27هـ، انتصر المسلمون وفتحوا شمال إفريقيا بعدما كان البيزنطيون والبربر يسيطرون على المنطقة، وفتح عقبة بن نافع الفهري الجزائر.(9)

ومنه جاء أصل لباس القبائل العربية التقليدية المتوارث إلى يومنا هذا.

فترة الفاطميون:

في العهد الفاطمي بلغت الملابس والأزياء ذروة رقيها ولقد أسس المعز لدين الله الفاطمي منسجا ملكيا خاصا لإنتاج الملابس عرف باسم دار الكسوة أو خزانة الكسوة أنفق على إنشائها (600.000) ستمائة ألف دينار. وامتاز رجال البلاط بلباسهم المطرز على حساب الدولة من العمامة إلى السروال فيما ذكره المقرئزي، بالإضافة إلى ملابس التشرifications من الألبسة الثمينة الغالية كانت ذات لون ابيض مطرز من الذهب (10) .

فترة المرابطون:

امتازت فترة المرابطون بسلطينها وأمرائها وملوكها أيضا من القبائل البربرية زناتة وأمراء مغراوة أهلها امتازوا بحفاظهم على الزي التقليدي على حسب مكانة الرجل (الفقهاء والعلماء والفرسان والتجار وكبار القوم وغيرهم). وازدهرت تجارتهم مع السودان وتميز اللباس التقليدي في هذه الفترة بالاعتدال والمحافظة عليه نظرا لتطبيق تعاليم الشريعة والمذهب المالكي، وامتد الحكم حتى وهران في عهد عبد المؤمن بن علي (11)

فترة الحماديون:

بدولة الحماديون ازدهرت صناعة الأقمشة يقول ياقوت الرومي "كانت تصنع بالقلعة الصفيقة والنسيج المطرز مع الذهب ولصوفها من النعومة والبصيص بحيث ينزل مع الذهب بمنزلة الابريسيم ويقول جورج مارسى سنة 457هـ 1065م صارت القلعة مدينة تجارية وافرة الخيرات.

كما اشتهرت القيروان والمهدية وغيرها ببضائع مختلفة كصناعة الأقمشة الملوكية وصناعة الجلود والسروج وصناعة الحلي والمجوهرات (12)

ويقول مارسى أيضا "الحضارة الجزائرية أثرت في النورمان بصقلية والحضارة الحمادية تظهر تحت تأثير المشرق، وآثارها لا نظير لها ببقية وطن البربر وهي شاهد على رقي الحضارة الإسلامية المغروسة بالجزائر، فقد ازدهرت الموسيقى و العمران و القصور و اللباس

و اهتم الحماديون بالفنون الجميلة"، وظلت حضارة بني حماد يقصدها أهل العراق و مصر و الحجاز و ظلت على هذا الحال إلى أن خربها الموحدون.(13)

فترة الزيانيين:

أخذ اللباس التقليدي الجزائري في العصر الزياني طابع الاحتفالية، نظرا لارتباطه بالمواسم الدينية كالاحتفال بالمولد النبوي الشريف و بختان الأطفال و ذكر الونشريسي أن مآدب الصنيع كانت تقام و يدعى فيها الأهل و الأقارب ليتشاركوا فيها، بالإضافة إلى المناسبات الاجتماعية الأخرى التي تحمل طابع الاحتفاء مثل: "السبوع" الذي كان ينظم بجلوسات قراءة القرآن و الأوراد و تناول الطعام بعد سبعة أيام من وفاة أحد الأقارب، كما أن اللباس كان يميز كل طبقة إجماعية فلباس الحاكم يختلف على لباس الفقيه و لباس الحرفي و غيره من أفراد المجتمع (14).

فترة بلاد الأندلس:

كان لحضارة بلاد الأندلس تأثيرا واضحا على اللباس التقليدي الجزائري بحكم امتداد الخلافة الإسلامية من العصر الأموي و العباسي إلى أوروبا و بلاد المغرب، و هذا التأثير كان ترسيخا للهوية العربية الإسلامية ، و" بعد سقوط غرناطة في 1492 م نزح الكثير من الأندلسيون المسلمين المضطهدين من اسبانيا إلى الجزائر مما ازدهرت الصناعة و الحرف تصميم الألبسة و أعيد بعث بعض الصناعات التقليدية و صناعة النسيج و الطرز و صعودها من الدولة الأموية و العباسية إلى ديار الأندلس و ازدهرت مرة أخرى في قسنطينة و وهران و تلمسان و العاصمة مثل الكاراكو و القسطنطينية و القفطان و المنسوج .

كما ازدهرت التجارة بتواجد بعض تجار اليهود السفريديم القادمين من بلاد الأندلس.

فترة الأتراك (العثمانيين):

(1500 م _ 1830م) حينما حدث تغير وتطور في العادات الاجتماعية للجزائريين وشهد اللباس التقليدي الجزائري أوج تطور الحضاري وأضيفت إليه لمسات عصرية من الحضارة الإسلامية التي انتقلت إلى بلاد الأندلس وأثرت في أوروبا عامة في نهضتها وحضارتها الغربية.

" التأثير الأول هجرة الأندلسيون إلى الجزائر و التي بدأت خلال القرن التاسع وتقوت في القرن العاشر، الثاني الوجود العثماني نفسه و الثالث الوجود المسيحي و اليهودي، فر من بلاد الأندلس العديد و استقروا بمدينة شرشال و تنس و مستغانم و مدينة الجزائر و دلس و بجاية و عنابة فاستقروا و ساهموا في الحياة الاجتماعية و نشروا أنماط الحضارة بين الجزائريين(15) "

وبوجودهم ازدهرت الخياطة والحياكة وطرز المجبود والفتلة إلى جانب الصناعات الأخرى من علوم وفنون كالطب والموسيقى.

كما تزاوج تواجد الأتراك مع الأندلسيون في الحواضر بالإضافة إلى الحفاظ على الألبسة التقليدية الأخرى التي كان يرتديها عامة الناس في الأرياف من العباءة والبرنوس والعمامة. ونشير إلى أن التصوف كان سائدا في هذه الفترة ونسبت إليه الملابس الصوفية عند الدراويش.

فتواجد الأتراك نقل إلى اللباس التقليدي الجزائري لمسة شرقية من مختلف الحضارات الأخرى بيزنطية وفارسية وعربية أصيلة من اليمن، كما إن الاحتفالية بالمواسم والأعياد الدينية الإسلامية والأعياد الخاصة أخذت بعدا طقوسيا آخر بالاجتماعات وإشعال الشموع ورش ماء الورد واهتم الرجل الجزائري بأناقة مظهره في هذه المناسبات والتنافس في اقتناء أبهى حلة. بالإضافة إلى زواج بعض العروض و الفرجة كمسرح خيال الظل و حفلات الموسيقى ألعاب

العصي و مآدب الشعر الشعبي و ظهور المقاهي و مضغ السجارة و السبي و الغليون(16) .

كما ظهر في العهد العثماني تقاليد اللباس الرسمي، والرتب العسكرية لباس الشويش ولباس المزوار ولباس البشوات والأغوات والدايات وألبسة الجوقة الموسيقى التي لازالت في تقاليدنا مثل أصحاب "الزرنة" (الزرناجية) التي لا زالت حاضرة في المولد النبوي والأفراح الشعبية والاحتفالات الرسمية لعيد الأضحى وعيد الفطر ومازال الحرس الجمهوري الجزائري يستلهم منها البسته التقليدية .

فترة الغزو الاسباني:

قبل الغزو الإسباني ازدهرت صناعة الألبسة بالجزائر حتى أصبحت تصدر إلى أوربا في 1385 م نجد كلمة الجزائر موجودة في خارطة شارل الثامن وفي نهاية القرن الخامس عشر نجدها في الكثير من خرائط أوربا الغربية ولها تركز استراتيجي كما أن سجلات الشراء تعرضت لمبادلات صوف وزيت وجلود الجزائر مقابل الأغذية والأقمشة(17) .

فترة الاحتلال الفرنسي:

بالرغم من تعمير فرنسا ما يناهز القرن و نصف من الزمن عملها الممنهج في طمس الهوية إلا أن الجزائري كان متشبثا بلباسه التقليدي العريق و تدل الوثائق التاريخية من أفلام و صور و مستندات و لوحات زيتية على ذلك، حتى أن فرنسا استخدمت أسلوبها الناعم بعدما صعب عليها المساس بعمق التقاليد في احتلال الجزائر من خلال إبقاء البرنس و العمامة للقومي و الحركي حتى يظهر كرجل قيادي في المجتمع و له هبة و مرتبة اجتماعية مغرية و محترمة في أن واحد، كذلك إبقاء شيوخ الزوايا في شكلهم و هندامهم مع توجيههم ايدولوجيا و فكريا، أو تسليح جيوش افريقية بالزي التقليدي.

كما تمسك سفراء اللباس التقليدي بهندامهم أمثال شعراء الملحون الشيخ الخالدي والشيخ مصطفى بن براهيم، وفنانو الأغنية البدوية الشيخ حمادة والشيخ عبد المولى بزيهم العربي الأصل لانتمائهم لقبائل بني عامر وبني هلال وغيرها ومغني الشعبي الشيخ العانقا تمسكه بالزي البربري ذي اللمسة التركية رغم أصوله البربرية وعبد الكريم دالي بلباسه الأندلسي العربي والتركي. كما تمسك رموز الوطن بلباسهم التقليدي المرتبط بالهوية، مثل: شيوخ المقاومة أمثال: الشيخ بوعمامة والأمير عبد القادر والشيخ الحداد وغيرهم بالإضافة إلى رواد الإصلاح مثل عبد الحميد بن باديس ببرنوسه وعباءته وعمامته والعالم ابن شنب بزيه التركي ومصالي الحاج بعباءته العربية وطربوشه التركي.

بعد الاستقلال:

لازال اللباس التقليدي محافظا على صدارته بين الألبسة الوافدة والدخيلة على مجتمعنا بالرغم من كل المراحل التاريخية العسيرة ولاسيما في عصر العولمة والغزو الثقافي باستثناء بعض موجات التأثير الغربية الدخيلة عن مجتمعنا والتي تعتبر مودة عابرة لا تترسخ واهتم المصممون الشباب بإعطاء لمسة عصرية للملابس التقليدية لتمثيل الجزائر في المحافل الوطنية والدولية والتعريف بالجزائر من خلال مورثها اللامادي.

7. الألبسة التقليدية الرجالية الجزائرية شاهد على عراقة أمة:

البرنوس أو البرنس: (Barnos)

هو لباس تقليدي جزائري يغطي الجسم من الكتفين إلى القدمين في أعلاه قلنسوة (قلمونه أو قلنسوة) تغطي الرأس، ليس فيه أكماف يكون مفتوح من الأمام إلى أعلى الصدر، وعند ارتدائه يبدو كالجناحين.

والأصل يكون لونه ابيضاً ويسمى برنس وإذا كان اسود يطلق عليه السلهام كذلك

وكان أهل الجزائر يسمون بأصحاب البرانس أو البرانس بهذه العبارة التي تحمل دلالات لغوية كبيرة تعدت الحدود الجغرافيا ولعل إتيمولوجية كلمة les princes الفرنسية مأخوذة من هذا الأصل الجزائري و خاصة إن أصحاب البرانس كانوا من النبلاء و الفرنسيان الذين تحولوا إلى ملوك و أمراء و سلاطين فاثروا على الآخر بتقاليدهم العريقة و لما اضمحلت تقاليدهم تأثروا بالآخر (الغالب و المغلوب).

و البرنوس كان قبل الاسلام "حدود بلاد البربر تبدأ حيث الرجال يرتدون البرنوس و تنتهي حيث الناس لا يأكلون الكسكسي" فيما ذكره ابن خلدون في كتاب العبر كذلك(18)

البربر كان برنوسهم طويل سميو بالبرانس والأمازيغ كان أبتر سميو بالبتر ويقول المستشرق الفرنسي وليام مارسيه " التمييز بين البرانس والبتر (قبائل بربرية) منهم من كان يرتدي البرانس فسمي بالبرانس ومن كان يرتدي البتر فأطلق عليهم البتر"

والأبتر لغة هو القصير. ويبقى البرنوس عنوان الهوية الوطنية تمسك شيوخ المقاومة الوطنية و رجال الدين و الزوايا و رواد الصلاح أمثال عبد الحميد ابن باديس و كل الرؤساء الذين تعاقبوا على الحكم لأنه رمز الهوية و الشهامة بالجزائر غربا و شرقا و وسطا بالجزائري و مازال رمز للفارس الجزائري.

الكاراكو: (Karako)

وهو من أهم الألبسة التقليدية الجزائرية مصنوع من النسيج المطرز بخيوط الفضة والذهب والقطيفة صنعا يدويا بإتقان ومهارة عاليتين، وتعد صناعته من الحرف اليدوية التقليدية التي عرفت رواجاً كبيراً في العالم آنذاك وتطورت في بلاد الأندلس، يرجع دخوله إلى الجزائر إلى فترة الأتراك.

والكراكو هو لباس الملوك والسلاطين والأمراء رجالي الأصل، استحوذت عليها النساء حتى أصبح ينسب إليهن في القواميس الحديثة و أصبح حكرًا للجنس اللطيف أضيفت إليه لمسات عصرية مع تضيقه في الجانبين.

العباءة: (Abaya)

العباءة التقليدية هي رمز للهوية الجزائرية يلبسها عامة الناس، وهي لباس عرف عند البربر و العرب و سائر الحضارات إلا إن شكلها التقليدي يختلف حسب تفصيلها من منطقة إلى أخرى فمثلا بالغرب الجزائري فضفاضة و عريضة و مفتوحة في الصدر تكون بيضاء عادة عند البربر و صفراء عند قبائل بني عامر و بنو هلال و زرقاء فاتحة في الهضاب و الجنوب و منطقة توات مطرزة "بالقيط" في الوسط أما عند الطوارق فتأخذ شكلا مميزا بالطرز الإفريقي و لونها ازرق نيلي يتصدى للأشعة فوق البنفسجية للشمس.

"وكانت العباءة لباس شائعا شأنه شأن اللباس الخارجي الآخر تلبس فوق سائر الألبسة الأخرى، و العباءة ضرب من الأكسية مفتوحة من الجهة الأمامية، و يذكر أن الرسول صلى الله عليه و سلم كان يلبس العباءة كما كان الخلفاء يلبسونها أيضا، فقد كان الخليفة أبو بكر الصديق يلبس في خلافته العباءة (19) "

يقول عقبة بن نافع في أشهر خطبه بعد فتحه لشمال إفريقيا "املؤوا صدوركم من كتاب الله فإنه دليل على الله، حذو من كلام العرب ما تهتدي به ألسنتكم ويدل على مكارم الأخلاق، ولا تدينوا ولو لبستم العباءة،(20) "

و هنا إشارة إلى أنها لباس المتواضعين و دعوة صريحة إلى التمسك بمقومات الأمة القرآن اللغة العربية و اللباس بدون تكلف.

السروال: Seroual

وهو عريض موجود في مناطق القبائل ودلس وفي الصحراء والغرب ويتقلص عرضه عند الطوارق وأقصى الجنوب ويقال إن أصله أعجمي دخل إلى بلاد العرب ثم انتشر في أرجاء الوطن

السروال البربري: Seroualberbere أو سروال لوبيا:

و هو سروال عريض يشبه السروال العربي لونه ابيض أو اصفر فاتح عند البربر سكان شمال إفريقيا القدامى و كان يطلق عليه كذلك سروال لوبيا و غنى المطرب الجزائري حميدو أغنيته الشهيرة في ثمانينات القرن الماضي لينفض الغبار على هذا الموروث اللامادي و ظهر على الشاشة الجزائرية في كليب موسيقى يرتدي سروال بربري و يغني: "سروال لوبيا ديالي أنايا مشي أنت شريتولي"، و الأصل أن هذه الكلمة لها مدلولها السوسيو-ثقافي و التاريخي ، " شمال إفريقيا كان يطلق عليها اليونانيون لوبيا أو ليبيا و كلمة البربر الذين لا يتكلمون اللغة اليونانية و المؤرخ اليوناني الكبير الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد كان يسمي هذه الأرض باسم لوبيا أو ليبيا ،و يدعو أهلها باللوبيين و امتازت هذه الأرض بلاد البربر خاصة الجزائر بذكاء أهلها و هي مهد العنصر البشري المتحضر التي نزلت حضارتها إلى مصر القديمة و أسسوا حضارتها حسب المؤرخون (21) "

سروال بوزكري: Seroual Bouzekri

ويعود أصوله إلى ما قبل الفتوحات الإسلامية والأرجح في تسميته "الزكارة" الذين قدموا من الحبشة واستقروا بشمال إفريقيا ثم استقروا بمنطقة زاكورة في الحدود الجزائرية المغربية، و هذا النوع من السروال يشبه السروال العربي قصير نوعا ما تشارك فيه اليهود و العرب و ضارب في عمق التاريخ، يعود نسبهم إلى الكوشيون المنحدرون من احد أبناء حام ابن نوح عليه جاؤوا من إثيوبيا إلى بلاد المغرب(22) .

سرّوال عرب أو سرّوال المدور: SeroualarabeM'daouar

يطلق عليه كذلك سرّوال "التستيفة" لازال حتى الآن في المناطق الداخلية بالجزائر ويلبسه الفرسان والخيالة وأصحاب البدلة العربية الأصيلة مثل أولاد نايل والجلفة وعرب المجاهر بغيليزان ومستغانم وأهل السوقر بتيهت على سبيل المثال لا الحصر وهو لباس محافظ عليه يدل على اصالة الرجل العربي وكان كذلك رمز للمقاومة الشعبية بمختلف مناطق الوطن ولا يزال يميز الاحتفالات الشعبية من مواسم وأعياد ووعادات .

السروال المزانى: SroualM'zabi

يشبه باقي السراويل وأصله عربي من مصر و الشام، "من مظاهر تمسك أهل ميزاب بأصالتهم لباسهم التقليدي، و الذي يواظب عليه إلى يومنا هذا في الأيام العادية و المناسبات و الاحتفالات، و يعتبر من يخالف هذا العرف غريب و شاذ على المجتمع و لو كان من أهلهم، و هذا يدل على المحافظة الأصالة العريقة و وحدة اللباس التقليدي تدل على ترابطهم. والسروال الميزابي غير مفصل على الرجلين وهو منتشر بوادي مصر والشام عادة ما يكون لونه ابيض في المناسبات الدينية والوطنية وبلون آخر في سائر الأيام(23)"

سرّوال الشقة أو سرّوال الشلقة: Seroualchelkaoucheka

و هو سرّوال عريض في الوسط و له فتحتين عند الساقين منحدر من الحضارات الشرقية القديمة طرأت عليه تغيرات من عند الفرس و الأتراك و عرف راجا بالجزائر منذ دخول الأتراك حينما بلغت الحضارة أوجها بالجزائر، لبسه الرجال ثم استحوذت عليه النساء في الحواضر نظرا لقيمتة العالية و جودة إتقانه بالحريز المنسوج و خيوط الذهب و هو لباس ملكي لازال إلى يما هذا يستعمل في الأعراس و الحفلات الجزائرية

السروال الطوارق: Seroual touareg

هو سروال ليس عريض كثيرا نظرا لتثقل الطوارق وامتطائهم للجمال فيه طرز في الجوانب وطويل نوعا ما مقارنة بالسروال العربي والبربري ولا زال السروال عند الجزائري رمز للرجولة والشهامة.

القشابية أو الجلابة الرجالية: Djellba ou kachabia

وهي رداء مقفل طويل يغطي كافة الجسم وعريض وفيه "قلمونة"، زي تقليدي توارثه الأجيال وتختلف مواد صنعه من صوف أو وبر أو كتان أو حتى كشمير لإعطائه لمسة عصرية وهناك أساليب مختلفة لها اسماء شرقية ضيقة أو غربية واسعة مفتوحة عند الصدر قبلية قصيرة نوعا ما و"تارقية" مفتوحة عند الابط و"مزابية" مطرزة و"شاوية" عريضة و لا زال يحافظ عليها معظم الشعب الجزائري لرمزيتها التاريخية و الشعبية و ارتباطها بالمقاومة و الثورة المجيدة فضلا على إنها رفيعة الجودة و مناسبة لكل الفئات العمرية و تتميز مدينة مسعد و الجلفة و الأغواط و أفلو و بوسعادة بإتقان صناعتها بالصوف و الوبر و تغطي التراب الوطني.

العمامة و الكنبوش: Aamama et Kenbouche

العمامةAamama:

وقد وصف أبو الأسود الدؤلي العمامة فقال "هي جنة في الحرب ومكنة في الحر ومدفأة من القر ووقاد من الندى وواقية من الأحداث وزيادة في القامة وهي بعد عادة من عادات العرب (24)"

العمامة صفراء بغرب البلاد و هي أصيلة و تقليدية توضع فوق طاقية خفية على الراس تعود أصولها إلى اليمن و كانت تصنع من الخز الحرير و مازالت عمامة التوتة بالجزائر مقترنة بالحرير حاليا تستورد من الهند و بنغلادش و تدخل إلى منطقة السوق ولاية تيهرت

لتوزع على باقي مناطق الوطن و لها قيمة تراثية و ثقافية و تاريخية بالجزائر متوارثة عن الأجداد.

الكنبوش: Kenbouche

أبيض اللون وهو طويل يرتديه اهل الهضاب وأهل الصحراء على الرأس و كلتام و يسمى في بعض المناطق "الحواق" يُلفُّ على الرأس و يستعمل كلتام في مناطق الهضاب و الشبه الصحراوية.

تاقلموست: Tagalmoust

و هي عمامة طويلة باللاثام "وهي عبارة عن قطعة مستطيلة و طويلة من القماش الأبيض يقوم الرجل التارقي بلفها على رأسه ووجهه كاملا و لا ترى منه سوى العينين، و يكون مزيج من الأزرق النيلي و الأبيض و فسر علماء الأنثروبولوجيا هذه الظاهرة مردا إلى معتقدات و عادات و البيئة الصحراوية الصعبة للرجل التارقي التي ترجع أصوله إلى البربر (25) "

الصدرية: Sadria

وهي لباس رجالي تقليدي من قماش خفيف بون كمين في جيب داخلي لوضع الدراهم أو الوثائق على اليمين مفصلة بدون كمين وتختلف من منطقة إلى أخرى. يرتديها العرب والبربر وعند ميزاب تكون عادة من الصوف مزركشة مصحوبة بحزام.

الشاشية أو الطاقية: Chachia

"يبدو أن اسمها جاء من ديار الشاش ما وراء النهر وهو لباس أعجمي كما جاء على لسان الجاحظ، عند وصفهم بأنهم أصحاب القلائس الشاشية، وقد أخذ العرب هذا النوع من اللباس عن الأعاجم منذ عهد الخليفة العباسي المعتصم.... وقسما آخر من الباحثين أرجعوها إلى الشاش أي هي قماش من الشاش رخيص يوضع تحت العمامة " (26)

8. خاتمة:

الجزائر بلد غني بتراثه وأصالته واللباس التقليدي الرجالي رمزا لهوية الأمة والتفريط فيه وضعف واضمحلال وتلاشي والاستثمار فيه هو تطوير للسياحة المحلية وبعث للحرف التقليدية الصناعية التي تعبر على أصالة الانتماء العربي الإسلامي و تنوع الثقافات المحلية التي تجمعها وحدة الوطن و اللسان و الدين

لان لباسنا التقليدي إن لم نعد تثمينه وإعادة بعثه سوف يهدد بالاندثار في ظل ثقافة التأثير بالآخر والغالبية للأقوى وهذا هو دورنا خاصة في ظل العولمة واقتصاد السوق لان الأمم التي فرضت وجودها أكثر من أثني عشر قرنا مثل اليابان والصين إنما بحفاظها على تراثها وتقاليدها أصالة ومعاصرة.

ولا زال خطر تهديد اللباس التقليدي الجزائري من الاندثار مثل استيراد الألبسة الجديدة و تسويق ألبسة "البالة" أو "الفريب" fripe والمعروضة في الساحات التقليدية و الأسواق الشعبية مثل طحطاحة سيدي بلعباس التي كانت تعج التراث.